طفرات الغضب والسخط في الشعر والمسرح

بعد مرحلة الانتصار ، والنشوة التي اطاحت برؤوس قادة اسرائيل ، والامل القريب في السلام مع العرب (انتظار تليفون من العرب) ، في عام ١٩٦٧ ، استيقظ الاسرائيليون من النصر اثر العدوان الى الواقع مع بداية حـرب الاستنزاف ، وتبـددت الامال في السلام . واخلت نشوة النصر وفترة البومات الانتصار مكانها لقراءة الانباء عن الضحايا في القناة ، وبدا الاسرائيليون ينزلون من عليائهم . وشهدت فترة حرب الاستنزاف هذه مجموعة من ردود الفعل العارمة التي اجتاحت كل قطاعات المجتمع الاسرائيلي بشتى فئاته مطالبة بوضع حد لهذه الحرب وبالسعي الى السلام بأي ثمن من العرب ولو على حساب التنازل عن الاراضي التي احتلتها اسرائيل في حرب حزيران ١٩٦٧ . وكان من اشهر ردود الفعل هذه ذلك الخطاب المتكون من عدة سطور ، والذي ارسله طلاب الصف الثاني عشر في احدى المدارس الثانوية في اسرائيل ، الى جولدا مائير ، رئيسة الحكومة احتجاجا على عدم استجابة الحكومة لاقتراح دكتور ناحوم جولدمان الخـاص بارساله للتباحث مع عبدالناصر حول السلام . وقد جاء في الخطاب : « نحن جماعة تلاميذ الثانوية ، الذين على وشك التجنيـد في جيش الدفاع الاسرائيلي ، نحتج على سياسة الحكومة ازاء قضية جولدمان ــ ناصر ، لقد كنا نعتقد حتى الآن اننا نذهب للحرب وللخدمة لمدة ثلاث سنوات لانه لا خيار امامنا . وبعد هذه القضية ــ ثبت انه حتى حينما يكون هناك خيار ، ولو صغير للغاية ، فانكم تتجاهلونه . وعلى ضوء هذا فاننا وكثيرين آخرين نفكر كيف نحارب حربا دائمة لا مستقبل لها في الوقت الذي توجه فيه حكومتنا سياستها بطريقة تضيع احتمالات السلام . اننا ندعو الحكومة الـى استغلال كل فرصة وكل امكانية للسلام »(١٥) .

وكان خطاب الصف الثاني عشر بمثابة سماد انبت بسرعة نباتات جـديدة من انتـاج اسرائيل ، وانضم الشباب علانية وايدوا حركة « متسبين » (المنظمـة الاشتراكيـة الاسرائيلية) التي اصبحت فجاة موضوع اهتمام اسرائيليين كثيرين . وكان هناك مـن وزعوا صحفا سرية تحمل اسماء مثل « جعشوش » و« نعشوش » (نوعر شومير شالوم ــ الشباب الداعي للسلام) ، متوجة بأسلوب براق وتحوي كلمات احتجـاج صارخة ضد سياسة العدوان والتوسع والحرب الاسرائيلية . وقد حفلت هذه المقالات بصرخات مثل : « لن يبعد اليوم (اذا استمرت الظـروف الحالية في الوجود) الذي نصل فيه حقا الى هذه الحالة : لكل شاب ستكون هناك ثلاث بنات » . او مثل : «انت ايها الشاب اليقظ لمشاكل الساعة ، انت ايهـا الشاب الهادىء الذي لا يتمرد علـى المجتمع ، انت ايها الشاب الذي تسمى ذئبا على السنة العجائز ولا تخجل من هذا ، انت ايها الشاب الميت ، المتعب ، قم وتخلص من جمودك ، وتخلص من وصاية آبائك واجدادك ! قم وتظاهر واخرج ضد الزعامة المجنونة ، التـي بسبب غبائها الشديـد اوصلتنا الى هذا ! كف ! كف عن أن تقول آمين لكل كلمة تقولهـا جولدا او ديان . اخرج الى الشوارع وتخط الحواجز ، وحارب من اجل السلام . لا تقل ان الموقـف الامني لا يسمح بهذا ــ حارب من اجل تغيير الموقف الامني . ان السلام يجب ان يصل بأي ثمن وكان سيصل لولا غباء الزعامة . لا تقل أن الحرب قد فرضت علينا ، ان هذا القول من الممكن ان يردده الامريكيون في فيتنام والنيجر في بيافرا . انهم لم يفرضوا علينا الحرب بل فرضتها انت على نفسك لانك ايدت طريق زعمائك ... »(١٦) . ولم يكن مثل هذا المناخ المليء برائحة البارود ومشاهد القتلى والجرحى الذين يتساقطون في كل يوم على ضفاف القناة وفي وادي الاردن وعلى الهضبة السورية من الاسرائيليين كضحايا بلا ثمن ليمر دون ان يمزق وجدان الشعراء الاسرائيليين ويجعلهم يطلقون صرخـات الاحتجاج والسخط ضد سياسة التوسع الصهيونية وضد ظاهرة الموت بلا ثمن التي